مجلة المختار للعلوم التربوية
العدد ، السادس صفحة:- 78-90 2023/6/30
edu.jour@omu.edu.ly

الأيديولوجيا في أدب أحمد يوسف عقيلة
(ضفدع الوحل أنموذجاً)

نجاح صالوح عبدالسلام[1]
أستاذ المساعد بقسم اللغة العربية، كلية التربية، جامعة عمر المختار
musaetwati@gmail.com

أحمد بلال الأمين
أستاذ المساعد بقسم اللغة العربية، كلية التربية، جامعة عمر المختار
ahmed.bilal@omu.edu.ly

DOI: https://doi.org/10.54172/e5p4sj21

المستخلص

تتقاطع داخل أعمال أحمد عقيلة سلوكيات اجتماعية وثقافية ومعرفية متباينة، تمزج بالإيديولوجيا المهيمنة على فكر الكاتب – بلا وعي منه ربما – فتحدد المسار بخطيين متوازيين يتواجهان (أيديولوجيا= عسكر) ويجعل منهما في الغالب خطان متوازيان لا يلتقيان معاً – ولا يمسان الحاضر (المعيش) ولا يلتقيان بالماضي (المنسي). أقظت الأفكار الوافدة والمتوارثة مضجع الكاتب فسيطرت هموم مجتمعه عليه؛ فجاء أدبه ناقدا مستهجنا، يصرح أحيانا ويكني أحيانا أخرى، فيلمس القارئ بشيء من الوضوح انتقاده لهذه الأيديولوجيات، كونها مضادة لحرية الرأي. الكاتب حقوقي، إنسان يهتم للإنسان، لذا ركز هذا البحث على التأثير الإيديولوجي على كتابات عقيلة.

الكلمات المفتاحية: *أيديولوجيا، أدب، أحمد عقيلة، العتبة العنوانية، التبئير، كتابات عقيلة*

Ideology in the literature of Ahmed Youssef Aqeela
(Slime Frog as a Model)

Najah S. Abdulsalam[1]
Arabic Language Department, College of Education, Omar Al-Mukhtar University

Disparate social, cultural, and cognitive behaviors intersect within Aqeela's work, mixed with ideology Dominant in the writer's thought - perhaps unconsciously - defining the path with two parallel lines facing each other (ideology = military) and often making them two parallel lines that do not meet together - and do not touch the present (the living) and they do not meet the (forgotten) past. The incoming and inherited ideas awakened the writer's sleep, and the concerns of his society dominated him. The reader feels with some clarity his criticism of these ideologies, as they are against freedom of opinion. The writer is a human rights activist, a human being who cares for human beings, so this research focused on the ideological influence of Aqeela's writings.

Keywords: *Ideology, literature, the living, forgotten past, Aqeela's writings*

The Author(s). This open access article is distributed under a CC BY-NC 4.0 license ©

مشكلة البحث:

يجيب البحث عن مجموعة من التساؤلات أهمها تأثر القاص بأيدولوجيات متعددة، حيث يحاول تحديد هذه الإيديولوجيات ومتخذا من ضفدع الوحل أنموذجا أساسيا لطرح المشكلة وتحديدها ومحاولة معرفة أسباب التأثر الإيديولوجي.

أهمية البحث:

الإيديولوجيا من أكثر المصطلحات والمفاهيم استعمالا في المجالات الفكرية والثقافية، ومع ذلك فإنها من أكثرها غموضا واضطرابا وتنوعا، فهي تكمن داخل كل فكرة، ومن دونها لن يتسنى لفكر أن يشق سبيله إلى الفعالية ليصبح كيانا معنويا مكتمل الحضور، لذا جاءت أهمية البحث كون أدب عقيلة لم يدرس من هذه الناحية حتى الآن. فلا توجد دراسات سابقة في هذا المجال.

منهجية وهدف البحث:

وللإجابة عن أسئلة الإشكالية أو لمقاربتها، حاولنا التسلح بمنهجية واضحة تتسم بطابعها التحليلي مستفيدين في ذلك من تطبيقات المنهج السيميائي؛ متتبعين العلامات السردية والتصور النموذجي لمقاربة الأيديولوجيا في النصوص السردية مقاربة سيميائية، ومنه اعتمدنا على أنواع الإرغامات الأيديولوجية التي تتأسس على مفهوم السنن في السرد وتجلياتها.

The Author(s). This open access article is distributed under a CC BY-NC 4.0 license ©

التعريف بالكاتب

أحمد يوسف عقيلة أو أحمد يوسف عقيلة سليمان البرعصي، وُلد عام 1956م، في أحد نجوع بادية الجبل الأخضر، بليبيا، لإحدى قبائل البدو الرحَّل، قاصٌّ، ومدوِّن ليبي، وباحث في التراث الشعبيّ، وأحد المهتمّين بالبيئة، تُرجمت بعض أعماله إلى اللغات الفارسيَّة والتركيَّة والإنجليزيَّة والفرنسيَّة والإيطاليَّة، مقيم في ريف الجبل الأخضر جنوب مدينة البيضاء.

درس المرحلة الابتدائيَّة في مدارس: عمر المختار و، قرنادة، والميدان، واليقظة، ودرس المرحلة الإعداديَّة في مدرسة رويفع الأنصاري بالبيضاء، والمرحلة الثانويَّة في مدرسة القادسيَّة بالبيضاء، ومدرسة سوسة بالقسم الداخليّ، تحصَّل على الشهادة الثانويَّة، القسم الأدبي سنة 1977م، ودرس في جامعة بنغازي سنة 1979م، قضى حوالي 8 سنوات (1981–1988) في الخدمة الإلزاميَّة بالسلاح الجوّيّ، وعمل لدى فرع ديوان المحاسبة بالبيضاء منذ عام 1989م، إلى أن تقاعد اختياريًّا عام 2017م، أعدَّ وقدَّم برنامج (سوائر الأمثال) لإذاعة الجبل الأخضر المحلِّيَّة المسموعة.

نشر عددًا من القصص والمقالات في كثير من الصحف والمجلَّات الليبيَّة والعربيَّة: الشلال، أخبار بنغازي، أخبار أجدابية، الأفريقي، الجماهيرية، الشمس، أويا، قورينا، لا، الفصول الأربعة، الثقافة العربيَّة، المجال، العرب اللندنية، العربي الكويتيَّة، المعرفة السورية، أخبار الأدب المصريَّة، الحياة التونسية، الشاهد، الزمان العراقية، القدس العربي، ألواح

The Author(s). This open access article is distributed under a CC BY-NC 4.0 license ©

الصادرة بإسبانيا، ضفاف الصادرة بالنمسا، تموز الصادرة بالسويد، إضافة إلى الكثير من المواقع العربيَّة على شبكة الإنترنت.

مقدّمة

يجدر بنا أولاً الإشارة إلى أن هذه المقاربة البحثية لا تهدف لتعريف الإيديولوجيا بصفة عامة، بقدر ما تهدف لتحديد التأثيرات الأيدولوجية في أدب عقيلة، وهي تأثيرات ظاهرة وكامنة، ولكنها غالباً خارج الإطار الزمني والمكاني، وتخرج عن كونها نظاماً ناقداً لوضع سياسي ما، في مجتمع محدد بمكان جغرافي ضمن حقبة تاريخية معاشة.

تتقاطع داخل هذه الأعمال سلوكيات اجتماعية وثقافية ومعرفية متباينة، تمزج بالإيديولوجيا المهيمنة على فكر الكاتب – بلا وعي منه ربما – فتحدد المسار بخطيين متوازيين يتواجهان (أيديولوجيا= عسكر) ويجعل منهما في الغالب خطان متوازيان لا يلتقيان معاً – ولا يمسان الحاضر (المعيش) ولا يلتقيان بالماضي (المنسي).

من خلال (المعيش + المنسي) تُحاول أعمال عقيلة استعادة غربة المواطن ودفعه لاسترداد وعيه، ففي ظل واقع مأزوم، وحياة يراها عبثية عديمة الجدوى – بعد معاناة من الإهمال والتهميش – يبرز هذا المواطن محاولاً العيش، فتتجسد في هذه الأعمال خرائط عدة تحاول تحديد القوى الرابطة بين (الفاعل السياسي) والمفعول به (الكادح – الشاب– اليائس)، في (ضفدع الوحل) لا يكاد القارئ يحدد (زماناً أو مكاناً) محددين؛ فالكاتب – حال كتابته

The Author(s). This open access article is distributed under a CC BY-NC 4.0 license ©

– كتب وترك للمتلقي وضع سردياته في أي زمان ومكان شاء، محاولاً اختراق (التابو) في وحداته القصيرة، فهو لا يستطرد كثيراً حتى لا يُفقد قصصه وحدة التأثر والانطباع؛ وعلى الرغم من هذا القصر إلا أن مجموعته مفتوحة، وغير مكتملة في ذهن المتلقي تولد لديه قصصاً متعددة من خلال عملية التخييل؛ وهو أيضاً لا يذكر اتجاهاً أيديولوجياً بعينه؛ بل يترك للقارئ تحديد هذا الاتجاه، مع مزج هذه الحكايا بشيء من السخرية والتهكم.

إذن هناك عدة مسارات إيديولوجية في ضفدع الوحل (عسكري (إذا احتسبناه من ضمن التوجهات الأيديولوجية) + ديني + اجتماعي).

المبحث الأول : إيديولوجيا عسكرية:

وهو أوضحها في حكائيات عقيلة، يتناوله بحزن أحياناً لما يخلفه من دمار، وهنا لا يحتاج المتلقي إلى كثير جهد ليتحسسه، فهو يستعمل أدوات العسكري في الومضات والقصة القصيرة (الأسلاك الشائكة – الدبابات – البندقية وغير ذلك) العسكر في نظره لا يرون، تحكمهم للعقيدة العسكرية، يقول في ((سلك شائك)) : ((فجأة تشتعل الغابة .. يمتلئ الوادي بالعساكر .. أسلاك شائكة .. وبنادق .. بعد سنة .. يلتقي الحلزونان .. يخشيان أن تدوسهما الأحذية الخشنة ... تزحف يتبعها .. يتواريان .. يبتعدان يخفت لغط العساكر .. تاركين فوق الصخرة درباً لامعاً)). (عقيلة، 2020 : 100 – 101 – 102.).

The Author(s). This open access article is distributed under a CC BY-NC 4.0 license ©

حملت هذه القصة تكثيفاً واختزالاً، وابتعدت عن تمطيط الزمن؛ و ((تتحول الحكاية كلها لطرح حالة إنسانية.. وكما نجد الحدث وقد تحول لحالة رصد ماكرة)). (المالكي، 2006: 32)

بصفة عامة لم يتوقف الآدب عن محاولة كشف خداع الأيديولوجيا في السياسة وغيرها؛ فالأيدولوجيا العسكرية قد تجر إلى الحرب، والحرب تدمر الإنسان وتقمعه، وتمارس ضده العنف الممنهج، وتتركه بلا رأي أو تعبير.

الخبر هو هاجس يسيطر على القاص؛ فيستمر حاكياً عن العسكر والحرب، ليقف بنا على عتبات العناوين مازجاً الخبر التالي للعنوان بالعنوان – دون اهتمام بالزمكانية – يقول في ((الدبابة)) : ((تمر الدبابة بضجيجها، ودخانها الأسود، وسط الدرب المؤطر بأزهار الربيان الأبيض، الدرب لا يتسع للدبابة، كانت تدوس الأزهار على الجانبين)). (عقيلة، 2020: 66). وأثناء مرور الدبابة، ينعق غُراب، وتلتفت امرأة، ويركض أطفال...؛ يحاول الكاتب هنا أن يختزل صورة هائلة قدر المستطاع، فهو من خلال منظوره السردي يعبر عن وجهة نظر ((هذه المسألة غالباً ما كانت من بين كل المسائل التي تهم التقنية السردية... إلا أنه يبدو ... أن الحد العمودي الفاصل هو وحده الذي يهم وجهة النظر...)). (جيرار جينت، 1997: 198– 199).

في قصص عقيلة العسكر – غالباً – يمثلون الدمار؛ ولا يهتمون بعدد الضحايا كما يهتمون بعدد النياشين؛ إنه ((مبئر)) منتبه للتفاصيل؛ مقلصاً لحقل الرؤية.

The Author(s). This open access article is distributed under a CC BY-NC 4.0 license ©

المبحث الثاني : إيديولوجيا دينية:

ما النص القصصي – غالباً – إلا كم هائل من الأفكار المستلهمة من الواقع (المعاش) حيث يمارس الكاتب فعل الكتابة (بنية نصية محددة... وانطلاقاً من الوعي الطبيعي.. من أن الكاتب عبر وعيه ينقسم تحت ما يلي: ذاته المبدعة.. تقاطعات القوى الخارجية الضاغطة عليه وظهورها في النص: دينية، اجتماعية، ثقافية، سياسية... إلخ، فتعتبر النص.. مادة لدراسة بؤرة التفاعل تلك والكاتب). (المالكي، 2008: 49).

ومن دراسة هذه البؤرة سيتضح لنا نسبية ضغط هذه القوى الفكرية؛ ومدى رفض أو موافقة الكاتب لها.

يحاول سرد عقيلة أن يجيب عن أسئلة صغيرة في ظاهرها، لكنها كثيرة بانفتاحها على معنى وجودنا المحفوف بالحيرة، وتنتج نصوصه فائضاً في اللفظ والدلالة، فسرده مفتوح على الآخر (الغريب) ،على التنوع، على غُربة فكر يراه مندساً بقوة القهر؛ زارعاً نوعاً من الألفة السوداء بين المواطن (الخائف المقهور) وبين هذا المندس الكريه.

وليثبت سيطرة هذا المندس، يعنون قصة من قصصه بـ (الشفرة): ((وقف خلفي.. لف يده اليسرى تحت ذقني.. جذبني إلى الوراء، ثبتني على صدره، وضع الشفرة في وسط عنقي، فقلت: (لا.. لا أُحب تحديد اللحية)). (عقيلة، 2020: 120).

The Author(s). This open access article is distributed under a CC BY-NC 4.0 license ©

السارد في النص يوازن بين طبقتين تناسباً عكسياً: فيقل السرد وتكثر الحكاية ((ويمكن للسارد أن يتناول كلام الشخصيات كموضوع لسرده؛ وقد يختار أن يعيد إنتاجه حرفياً كما تم التلفظ به ((واقعياً)) حينئذ ينمحي السارد أمام الشخصية)). (جيرار جينت وآخرون، 1988: 106).

الفكرة أو الأيديولوجيا المتطرفة سيطرت على القاص في هذه الومضة حتى خرج بها ((واقعياً)) في موازنة وتناسب بين (الحلاق + داعش) وكأنه يوازن بين صورتين : صورة تصنع الجمال، وأخرى تصنع الموت البشع.

التطرف، الفهم الخاطئ، التشدد هواجس سيطرت على الكاتب؛ فألقت هذه الأيديولوجيا بظلالها على المرأة، فحولوها حسب قوله إلى : ((جسم يتحرك خلف غطاء أسود)) فيسبر غور شخصياته؛ وبلعب أيضاً على شخصية المتلقي ((إن الإنسان السارد يخبرنا عما يحدث في أعماق الشخصية؛ ومع ذلك فإن المحكي ليس إعادة إنتاج، فحول إلى الماضي، لخطاب داخلي في ذهن الشخصية..)). (جيرار جينت وآخرون، 1988: 109).

السارد – غالباً – لا يقدم تفسيراً للأحداث ((ويمكن للسارد تتبع شخصية أو عدة شخصيات متعلقات برؤية واحدة... وفي هذه الحالة يمكن أن تكون الرواية بضمير المتكلم؛ وتكون.. نسبية لا تدعي الشمول)). (ميرغني، 2008: 106).

The Author(s). This open access article is distributed under a CC BY-NC 4.0 license ©

نعم لم يقدم عقيلة تفسيراً؛ بل قد يطرح أسئلة غير معلنة، دون الدخول في متاهات التفاصيل، وأنت تقرأ.. ستقول: لم؟ وكيف؟.

نصوص عقيلة واضحة ومبهمة؛ فهو لا يدين ولا يُبرئ بل يُكني أحياناً؛ ويترك للعنوان تلك الوظيفة أحياناً أخرى، باعتبار وظيفته التعيينية الواجبة الحضور، ووظيفته الدلالية والوضعية، فالعنونة من صفات النثري، ويسعى عقيلة من خلال ذلك لقوة مضاعفة الإيحاء؛ ولنأخذ مثالاً عنوان قصته (الطريق إلى السماء)، لتناقش قصته من خلال العنوان بعداً إيديولوجياً جامداً: ((تنزلق إبهام رجله اليمنى، تصطدم ركبته بأحد النتوءات...، وبقفزة أخرى يعتلي قمة الصخرة، ينظر إلى الأسفل إلى وجوه رفاقه المتحلقين حول النار... يخاطبهم ساخراً: أنتم يا أهل النار، الركون إلى الدفء يجعل المرء عاجزاً، انظروا أنا أقرب منكم للسماء)). (عقيلة، 2020: 48). يؤيد العنوان النص فهو العتبة التي تُوهم المتسلق بالتضحية بجسده للوصول، الارتفاع يرمز لوهم التطرف، نعم هو الناجي الوحيد والباقي ((أصحاب النار)).

The Author(s). This open access article is distributed under a CC BY-NC 4.0 license ©

المبحث الثالث: إيديولوجيا اجتماعية:

الأيديولوجيا – غالباً – نسق فكري عام يفسر الطبيعة والمجتمع والفرد، وهي أيضاً مجموعة من المعتقدات والأفكار التي تؤثر على نظرتنا لما يحيط بنا؛ وتمثل أيضاً في مجموعة من القيم والمشاعر يتمسك بها المجتمع بشكل كبير – حتى لو كانت خطأ – هذه التوليفة من العادات والتقاليد والمعتقدات والقيم والمشاعر يمكن أن يطلق عليها أيديولوجيا اجتماعية.

وكعادة الكاتب فإن بوابة نصوصه – غالباً – هي العنوان بوصفه نصاً مختزلاً مكثفاً له دلالات سطحية وعميقة؛ يحاول الكاتب من خلال دعوة المتلقي لاجتياز هذه العتبة والولوج للنص، لذا... فإن لكل اتجاه أيديولوجي في كتابات عقيلة عنواناً يدل عليه لأن ((سيميائية العنوان تنبع من كونه يجسد أعلى اقتصاد لغوي ممكن؛ لفرض أعلى فعالية تلقٍ ممكنة؛ مما يدفع إلى استثمار منجزات التأويل؛ كما يشكل العنوان أول اتصال نوعي بين المرسل والمتلقي)). (القطوس: 36). ولنضرب أمثلة لذلك الاقتصاد الفعال ((ونيس، زينب، عُذر، شاهد القبر....)) وغير ذلك من العتبات العنوانية؛ فونيس مثلاً سريعة العبور بالمتلقي من العتبة العنوانية للنص: ((تعال يا ونيس...ونسني))، (عقيلة، 2020: 12). بيد أنه يقفز به قفزة هائلة حين يدرك أن ((ونيس)) ليس ((الونيس)) الذي تبحث عنه الأرملة، ما هو إلا (ونيس) غير مجدٍ فهو محرمٌ لا فائدة تُرجى منه، ينفض عنها أيديولوجيا مجتمعية تتمثل في وجود ثالث أيا كان.

The Author(s). This open access article is distributed under a CC BY-NC 4.0 license ©

وفي ((عُذر))، (عقيلة، 2020: 41). يخون الونيس، ويرنو لأخرى؛ ((بعد أربعين عاماً تريد أن تتزوج على... بماذا قصرت في حقك؟ حك الزوج خلف أذنه وقال: أنت لم تعودي تحسنين صنع الشاي)) ليسلط الضوء هنا على سوء خلق ووفاء من الزوج، فالمجتمع ينظر للرجل أنه لا يعيبه شيء؛ بينما قد يُعاب على المرأة ((أنها لم تعد تحسن صنع الشاي)).

الأيديولوجيا اجتماعياً هي – في الغالب – تحت معنى ثقافة شعب أو مجتمع؛ وباكورة نتاجه الذي يحدد تمثلاته وتصوراته ونظراته لما حوله وللعالم بالتبعية، فأيديولوجيا مجتمع ما هي خلاصة مواريث من أزمنة اجتماعية سابقة؛ لذا يعرض هذا النوع شمولية للمجتمع كافة؛ حتى تنزل منه بمنزلة الثقافة الجمعية.

وانطلاقاً من هذه الشمولية المستبدة جاءت مجموعة من أقاصيص عقيلة تظهر هذه الأيديولوجية المتوازنة والمكتسبة.

الحت السلوكيات المجتمعية كثيرا على لاوعي عقيلة، فكان يؤلمه هذا التفسخ الاجتماعي، الذي أضحى سلوكا ثابتا وأيديولوجيا ينظر إليها المجتمع انها من المسلمات.

The Author(s). This open access article is distributed under a CC BY-NC 4.0 license ©

الخاتمة:

أحمد يوسف عقيلة ابن بادية ذات قيم أصيلة جاءت نصوصه متأثرة بالبيئة ويمكن ان نلاحظ لمسه للفكر الوافد أيا كان:

- العسكر –كأي مثقف–يرى انهم حماة الديار فقط، لذا يتحسس بحزن انحسار حرية الرأي خوفا منهم.
- التطرف ترك آثاره في المجتمع ،وإن لم يلاحظ المجتمع هذا.
- الإيديولوجيا الاجتماعية هي الأصعب هي من تجعل الباطل حقا، والخيانة وجهة نظر.
- سردياته تحررت من قيد الزمان والمكان، مع تأثر بالبيئة التي قد تتكرر في كل زمن.

The Author(s). This open access article is distributed under a CC BY-NC 4.0 license ©

قائمة المصادر والمراجع

1. ضفدع الوحل / أحمد يوسف عقيلة / البيان للنشر والتوزيع / الطبعة الأولى 2020 .

2. السرديات والقصة الليبية القصيرة نحو مدخل للتقنيات والأنواع / عبدالحكيم المالكي / مجلس الثقافة العام 2006.

3. خطاب الحكاية بحث في المنهج / جيرارجينت/ ت: محمد معتصم – عبدالجليل الأزدي – عمر حلي / المجلس الأعلى للثقافة / الطبعة الثانية 1997م.

4. استنطاق النص من البنية النصية إلى التفاعل النصي / عبدالحكيم المالكي / مجلس الثقافة العام / 2008 .

5. نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير / جيرارجينيت – واين بوثان – بورس أوسنبسكي – غراستوزاف – روسوم غيوت – كريستان انجلي – جان ايرمان / ت: ناجي مصطفى / منشورات الحِوار الأكاديمي / الطبعة الأولى 1988 .

6. بنية الخطاب السردي في القصة القصيرة / د. هاشم ميرغني / مطابع ؟؟؟؟ / الطبعة الأولى 2008م .

7. سيمياء العنوان – بسام موسى القطوس، مكتبة كنانة / الطبعة الأولى.

The Author(s). This open access article is distributed under a CC BY-NC 4.0 license ©